٩

المملكة الشمالية (٩٧٥-٧٢٢ ق. م.)
منذ تولي رحبعام السلطة حتى سقوط السامرة
الملوك الأول ١٢-٢٢؛ الملوك الثاني ١-١٧

تأليف: ب . س . دين

١. المقدمة

أنقسم مسار التاريخ العبري العريض إلى تيارين. القصة بتفاصيلها أصبحت معقدة. ومع ذلك تتواصل فصولنا مع الفترات التاريخية وحسب ترتيبها الزمني. نفس المخطط سيعطى «للمملكتين» و «لليهوذا وحدها» سيكون العنوان لهذا الفصل والفصل الذي يليه، ولكن يبدو من الأحسن ومن أجل الوحدة التاريخية والبساطة أن تعامل كلا من المملكتين التين أنقسمت إليهما الأمة على أنفراد.

١. أصل الأنقسام. - *أ. جذوره.* - «تمزيق المملكة لم يكن وليد عمل يوما واحدا ولكنه كان ينمو عبر القرون» خلال الفترة الطويلة من أيام يشوع إلى أيام داود مسكت قبيلتي يوسف (أفرايم ومناش) وقبيلة بنيامين التفوق بدلا من قبيلة يهوذا. يعود يسوع إلى قبيلة أفرايم وكذلك دبورة وصموئيل، ويعود لقبيلة مناش جدعون وأبيمالك، ولقبيلة بنيامين شاول ويوناثان.

أظهرت قبيلة أفرايم وبصورة مستمرة الأحساس بالفخر بالسيادة والأستقلال، (راجع يشوع ١٧:١٤-١٨؛ قضاة ٨:١-٣ ١٢:١-٦). وأكدت الأحداث على أن قادتها كانوا يكرسون وقتهم للتحرر من حكم يهوذا.

ب. تولي رحبعام العرش وسياسته. - كان لسليمان ألف زوجة وولد واحد وكان أحمقا. في تولي رحبعام السلطة توسل الناس إليه ليخفف الضرائب، التي كانت باهظة خلال فترة حكم سليمان، حيث كانت قد تنامت بطريقة قاسية. تخلى رحبعام عن رأي مجلس مستشاريه من الشيوخ وأخذ برأي مجلس الشباب، مجيبا على ذلك بأن خنصري أغلظ من متني أبي.

ت. رحبعام والثورة. - كان لسليمان قائد متمكن هو يربعام. وكونه من قبيلة أفرايم كان لهذا مغزى كبير. وكانت نتيجة المطالب الوثنية لسليمان والتي خالفت القانون الأساسي لحكم الله، تنبأ النبي أخيا بتمزق الملكية وصعود يربعام ليحكم على القبائل العشرة. ونتيجة لذلك وقع يربعام تحت شك سليمان وهرب إلى مصر، وعاد بعد موت سليمان. وعلى رفض رحبعام القاسي لتخفيف الضرائب، ترأس يربعام ثورة القبائل العشرة. والنتيجة كانت مملكتين متنافستين:

(١) المملكة الجنوبية من قبيلتي يهوذا وبنيامين، وتعرف بيهوذا.

(٢) المملكة الشمالية من القبائل العشرة وتعرف بإسرائيل.

٢. مقارنة بين المملكتين. - *أ. الأرض المساحة وعدد السكان.* - بالتأكيد كانت المملكة الشمالية أكثر عددا من المملكة الجنوبية، كانت تتألف من عشرة قبائل من مجموع كلي أثنا عشر قبيلة، ولذلك أنها أحتفظت بأسم الأمة إسرائيل. وكانت أملاكها ليست أكبر بكثيرمن يهوذا، ولكنها أغنى بكثير، في كلا من المصادر الطبيعية والعلاقات التاريخية. تمتلك يهوذا أورشليم وحبرون، وتمتلك إسرائيل شكيم مع ثروة الذكريات، وكذلك شيلوه مكان خيمة الأجتماع في الأيام الأولى ، وكذلك بثيل ورمحة وجلجال المكان الذي وجد فيه صموئيل مدرسة الأنبياء، ودان التي كانت منذ زمن مركز للعبادة (قضاة ١٨:١٤-٣١). والأكثر من ذلك الأستقلال والتحالفات للأمبراطورية أيام داود ماتزال تحتفظ بهم جميعا، أغلبها تعود لإسرائيل. وكلما كان الوقت يمر، كانت إسرائيل تخسر العديد

من قبيلة يهوذا والآخرين الأكثر روحانيين وذلك بسبب هجرتهم إلى يهوذا (أخبار الايام الثاني ١٥:٩ ، ١٠).

ب. *دينهم.* – كان ملوك إسرائيل من أولهم إلى آخرهم وثنيين، أصبح الناس وثنيين أكثر وأكثر. ومع ذلك ومن المفيد أن نلاحظ أن جميع الأنبياء العظام في ذلك الوقت المبكر كانوا إما من إسرائيل أو أرسلوا بمهمة لإسرائيل. أبييا و شيمايا و إيليا و إليشا و ميخايا و يونان وهوشع وعاموس و زكريا و ياهو وهم جميعا أما ولدوا في أسرائيل أوأرسلوا بمهمة أنبياء بصورة شاملة. وبالرغم من أن أهل يهوذا كانوا في العادة وثنيين إلا أنهم كانوا أكثر ولاءا لله.

ت. *عوامل الأستقرار.* – أن أكثر عوامل الأستقلال في يهوذا يمكن ملاحظتها في الحقائق التالية: (١) ليهوذا عاصمة واحدة في أورشليم، مدينة داود وسليمان، والهيكل.أما إسرائيل فكان عندها عدة عواصم بالخلافة: شكيم وترزا والسامرة. (٢) أستمرت إسرائيل لمدة مائتان وخمسون سنة فقط، وحكمها في ذلك الوقت تسعة سلالات وتسعة عشر ملكا نصبوا على العرش. كل سلالة جديدة تبدأ بثورة دموية، ولنفسها فقط وتزال بالدم. دامت يهوذا حوالي أربعمائة سنة وحكمها عشرون عاهلا فقط أنقذوا جميعا من مغتصبي العرش وكان أثاليا من نسل داود.

٢. الفترات الأربعة

تاريخ المملكة الشمالية يمكن أن يقسم دينيا إلى أربعة فترات غير متساوية:

١. الوثنية المتأصلة، خمسون سنة وثلاث سلالات ملكية، وخمس ملوك. – الشخصية القيادية كان يربعام، مؤسس المملكة. وخوفا من التأثير السياسي لمركز العبادة الواحد في عاصمته المنافسة أختار دان في أقصى الشمال وبثيل في أقصى الجنوب لحكمه. كلا منهما كانتا تعتبران مقدستين بنظر العامة. وهناك أقاموا شكلا من أشكال الديانة الوثنية والتي تعرف بعبادة العجل. ويجب أن نذكر أن تلك العبادة كانت شكلا من أشكال الوثنية المصرية التي مارستها إسرائيل في سيناء، وكان يربعام نفسه قد نزح من مصر أخيرا. وهذا من المحتمل لا يعني أنهم تركوا يهوه، ولكنهم أستعملوا صورة مرئية لله غير المرئي. لو كان الأمر كذلك، فأن هذا سيكون مخالفة للوصية الثانية من الوصايا العشر بدلا من الوصية الأولى. وثنية سليمان تبدو لنا أسوأ، ومع ذلك فالمؤرخين الذين كانوا قد كرسوا أنفسهم لعبادة الله لا يمكن أن يشيروا ليربعام بدون خوف وأرتعاد، «يربعام بن نباط وفي خطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم» (الملوك الأول ١٦:٢٦). أن هذاهو شكل الكلمات التي تعرض بها لسخرية الناس إلى الأبد. وقف يربعام على مفترق الطرق. وبالتعين المقدس كان قد أوجد السلالة والمملكة، تلك السلالة والمملكة التي ربما سيكون لها مصيرا مجيدا، ولكن هذا الأعتماد الكبير على المؤسس، سواء كان إبراهيم أم يربعام، وكان ليربعام سياسته الخاصة، نصف للعالم ونصف للدين، وبذلك نسف وجهة نظر إسرائيل إلى الأبد. أبتكر أيضا نظاما كهنوتيا جديدا وشكلا جديداق للأعياد الدينية. كانت السياسة تبدو حكيمة عمليا في ذلك الوقت، ولكن أثبتت أنها كانت هي المدمرة في النهاية. سلامة إسرائيل السياسية تكمن بالطهارة الدينية. وكان بقية ملوك الفترة ناداب وبعشا وإيلة وزمري الأخير مثل بعشا ، أغتصب العرش ومات بعد فترة حكم قصيرة دامت سبعة أيام. وخلال هذه الفترة كانت مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا في حالة عداء شديد ومزمن، وكانت الحالة تتفجر في بعض الأوقات إلى حرب معلنة.

٢. أبواق الوثنية؛ خمسون سنة، سلالة واحدة أربعة ملوك. – *أ. عمري والعاصمة الجديدة.* – مؤسس السلالة كان ضابطا في الجيش يدعى عمري. وقضى بسرعة على أغتصاب زمري للعرش، وأشعل حربا أهلية ناجحة مع مغامر يدعى تبني، والذي أصبح جلوسه على العرش مؤكدا بعد موت تبني، كان زمري قد أشعل المكان في ترصة على نفسه ومات. هجر عمري ترصة وأشترى وبنى

السامرة، التي أستمرت لتكون عاصمة حتى سقوط المملكة، وأعطت السامرة أسمها للمقاطعة وللناس بعد ذلك.

ب. *أخاب وإيزابل، عبادة البعليم.* – أخاب أبن عمري تزوج من إيزابل، أبنة اثبال كاهن الملك في صيدون. ذات الدم الوثني والديني الذي كان يجري مثل السم عبر عدة أجيال للملوك العبرانيين في كلا المملكتين. وكانت إيزابيل إمرأة لها حب الملكية وغيرة متطرفة، والتي أصبح أسمها بعد ذلك ولمدة تقارب الثلاثة آلاف سنة مرادفا للكراهية بين النساء. لقد قدمت عبادة البعليم وقامت بأضطهاد شديد لعبدة الله، التي بقت مستمرة بين الناس.

ت. *عصر إيليا.* – الشخصية السامية الوحيدة في تلك الفترة هو النبي إيليا. الذي واجة بشجاعة أهاب بخطياه، وتنبأ عن ثلاثة سنوات من المجاعة كجزاء للأمة المرتدة، وكان قد أطعمته الغربان على نهر كريث، وبعد ذلك أطعمته الأرملة في صرفة التي في أراضي أيزابل الخاصة، وأخيرا قابل أخاب مرة أخرى ودعيا سوية إلى تجمع وطني على جبل الكرمل، وهناك أقترحوا فحص المئآت من الكهنة وأنبياء البعليم وعشتاروت: الإله الذي يجلب النار يجب أن يكون رب الأمة. وعلى أثر ذلك أبتعدت الجموع التقية من أصنامهم بالإستجابة المقدسة حيث قامت النار التي أحرقت ذبائح إيليا بتدمير الأنبياء الكذبة. وكإتجابة أكثر لصلاة إيليا، تم كسرفترة الجفاف الطويل بالمطر الغزير، وركض إيليا ينفخ بالبوق أمام عربة آخاب في يزرعيل. ولكن الجزبل النحاسي أرسل رسالة تهديد إلى إيليا، الذي هرب إلى حوريب. هناك إلتقى الله بالنبي المهموم، قائلا له أن هناك بقايا من سبعة آلاف إسرائيلي لم ينحنوا للبعليم أبدا، «إسرائيليون ضمن إسرائيل» وأرسله مرة أخرى ليكمل عمله. عاد إيليا ومسح أليشع بالزيت ليكون نبيا مكانه، وأعلن نهاية بيت آخاب. بينما قضى على سلالة عمري وآخاب ياهو الذي لايعرف الشفقة. ولم يترك أي نبي، بعد موسى، مثل إيليا أنطباع شديدا على العقلية العبرية. الخرافة والأمثال تجمعت حول أسمه، وعودته كانت الخلفية للمشاركة في آخر نبي للعهد القديم، وشعب العهد الجديد. ولم يكتب أو يقل أي شيء تقريبا وصل إلينا. مثل شبيهه الكبير يوحنا المعمدان حيث أن ما عمل لا ما قال أعطاه مكانته العالية في سجل الأنبياء العبرانيين.

ث. *العلاقات السياسية.* – الملكان الآخران الذان من بيت آخاب كانا أخزيا ويهورام.وكان العداء تجاه يهوذا مستمرا حتى النصف الأخير من مدة حكم آخاب، الفترة التي عمل بها حلفا ضد سورية وتقوى بالزواج بين العائلتين المالكتين. كانت الحروب مع سورية على فترات متقاربة وحققت موآب أستقلالها الذي أستمر من أيام الملك داود. هناك ضوء جانبي مهم ألقي على هذه الفترة من الحجارة الموآبية. المملكة الآشورية التي على بعد، كانت مرة قوية جدا في السيطرة على منطقة البحر الأبيض المتوسط برزت مرة أخرى من ظلمة المائة والخمسون سنة للنشاط لتبتلع في الحال العديد من الممالك في الغرب. منذ هذا الوقت قامت الكتابات السريانية بتسليط الضوء على قصتنا.

٣. فحص الوثنية؛ مائة سنة، سلالة واحدة، خمسة ملوك. – تمثل هذه الفترة فترة أزدهار الممالك الصغيرة، ولكنها نهاية، «الصيف اللاهب» لإسرائيل. قام أليشا بالعمل على الأصلاح بنجاح أكبر من إيليا. وأفنى ياهو مؤسس السلالة بيت آخاب في زوبعة الثورة، وأفنى معهم عبدة البعليم، ولكنه أسترد عبادة العجل ليربعام، وقد تبعه كلا من يهوهاز، ويوهاز ويربعام الثاني وزكريا. يربعام الثاني حكم واحد وأربعون سنة ورفع المملكة إلى أعظم قوة لها. وكان النبي يونان يساعده والذي كان قد أرسل إلى نينوى، والذي صعد بسرعة إلى السيادة في آسيا الغربية. وقد رفع النبي هوشع أيضا صوته العالي الفصيح ضد الوثنية في إسرائيل.

٤. الوثنية تنتهي بالدمار، خمسون سنة، أربعة سلالات، خمس ملوك. – الملوك الذين

كان البعض منهم مجرد ألعوبة بيد السريانيون، شالوم ومناحين وبكايا وبيكا وهوزيا، بدأ الآشوريون عملية الترحيل في وقت حكم مناحيم. قام بيكا الملك ببعض القوة بتشكيل حلفا مع سوريا ضد الآشوريين ويهوذا الصغيرة التي أصبحت حليفة لآشور. وقام تكلاث بلزار الثاني ملك آشور بوضع نهاية لمملكة سوريا، وفرض على إسرائيل ضريبة ثقيلة. وجاءت النهاية عندما ثار هوشع على النير الآشوري. حيث قام شلمانصر الرابع بغزو البلاد وحاصر السامرة. وحوصرت المدينة لمدة ثلاث سنوات، وفي ذلك الوقت قام سركون الذي خلف شلمانصرالرابع على عرش آشور بأكمال الحصار وأحتلال السامرة وقام بنقل القبائل العشرة إلى العبودية التي لم يعودوا منها أبدا. كان ذلك عدم أخلاص ولمهمتهم الوطنية أنهم فقدوا هويتهم الوطنية إلى الأبد. ورجعت آشور إلى البلاد مرة أخرى وأختلطت ببقايا القبائل المتبقية من القبائل العشرة. وكان هذا الجنس الخليط بدينه الهجين قد أستمر لعدة قرون، وشكل جيل السامريين في أيام السيد المسيح.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧